المحاضرة الأولى مفهوم مصطلح نظرية الأدب: ملاحظة : هذه المحاضرات أعدها الدكتور صلاح ياسين

1) مفهوم النظرية:

يعود أصل مصطلح **نظرية** باعتباره مصدرا صناعيا[1] إلى المصدر الأصلي **النظر**، وليس النظر هنا بمعنى الرؤية وإنما المقصود به الرأي والفكر والتصور الذهني، فقولنا مثلا فلان ذو نظر بعيد معناه أن له تصورات وآراء وتدابير مستقبلية، كما أنه يتوقع الأحداث قبل وقوعها فيحاول تَجَنُّبَ مَخَاطِرها أو تعديل مسارها إلى الأحسن، ونقول فلان أعاد النظر في قضية يعني أنه أعاد رأيه وحساباته فيها بعدما وقع في الظن أو الشك أو الخطأ تجاهها .

أما عن النظرية **اصطلاحا** فهي مجموعة من الأفكار والآراء القوية التي تحاول الإجابة عن المشكلات المتعلقة ببعض الظواهر وذلك بالاستناد إلى مجموعة من المعايير العلمية والمعرفية والفلسفية والمنطقية وغيرها.

وفي مجال الأدب تهتم **نظرية الأدب** بالبحث عن ثلاث قضايا أساسية وهي: **نشأة الأدب أو مصدره، وطبيعته، ووظيفته**، وهو ما يبرزه المخطط التالي:

مجـــال نظريـــــــة الأدب

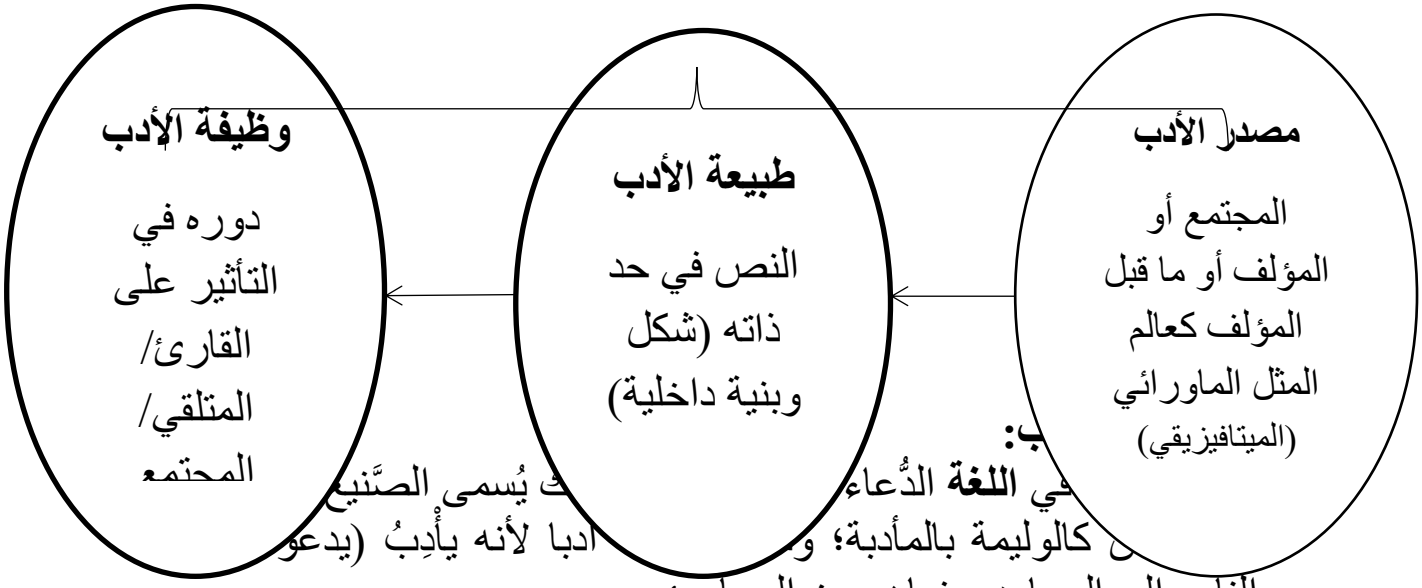

ب:

في **اللغة** الدُّعاء ك يُسمى الصَّنيع كالوليمة بالمأدبة؛ و ادبا لأنه يأْدِبُ (يدعو الناس إلى المحامد وينهاهم عن المساوئ.

---

[1] المصدر الصناعي هو كُل اسم أضيفت في آخره **ياء مشددة بعدها تاء مربوطة** للدلالة على ما فيه من المواصفات والخصائص مثل **إنسان** وهو كائن حي عاقل وبتحويله إلى مصدر صناعي تصبح **إنسانيَّة** وهي مواصفات وخصائص الإنسان مثل الأخلاق والعدالة والكرامة والحرية وقياسا على ذلك: حيوان حيوانيَّة، نظر نظريَّة، شخص شخصيَّة... وهي مصادر ليست أصلية وإنما هي مصنوعة من المصادر الأصلية ولهذا سميت بالمصدر الصناعي.

أما عن الأدب اصطلاحا فقد تعددت مفاهيمه نتيجة اختلاف الروافد المشكلة له ويمكننا أن نعرض أبرز تعريفات الأدب فيما يلي:
يرى محمد مندور أن الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية، والتجربة البشرية تشمل التجربة الشخصية والتاريخية والأسطورية والاجتماعية والخيالية.. الخ.
أما طه حسين فيرى الأدب " فن جميل يَتَوَسَّلُ بِلُغَةٍ" .
ويعرِّفه شوقي بأنه " الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به التأثير في عواطف القرَّاء والسامعين، سواء أكان شعرًا أم نثرًا".
ويعرفه رينيه ويليك بأنه " كل شيء قيد الطبع ".
وهناك من ينظر إلى الأدب على أنه فن تخييلي أي أنه لا يطابق الواقع وإنما يتوسل بالخيال فلا يصح أن نضع له معيار الصدق ومطابقة الواقع، بل على العكس من ذلك "أعذب الشعر أكذبه" كما قيل في النقد العربي القديم.
وهناك من يعرف الأدب بأنه كل كتابة تستخدم اللغة استخدامًا خاصًا تختلف عن استخدامها في الحياة اليومية والعلمية.
وهناك من يرى أن الأدب هو كل كتابة تنتمي إلى الشعر والرواية والخطبة والمسرحية والقصة القصيرة والتراجيديا والحكمة أما الكتابات الأخرى كالتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم فهي خارج إطار الأدب.

3) لماذا الحاجة إلى نظرية للأدب؟:

لقد سحر الأدب بجمال لغته ورونق إيقاعاته وبديع أفكاره الناس عبر مَرِّ العصور؛ فبدأوا بالبحث عن السِّر الذي يجعل من الأدب جنسا متميزا عن باقي الفنون والأجناس الأخرى حتى أضحت الحاجة ماسَّة لتأسيس نظرية أدبية تبحث في ماهية الأدب وتحاول الإجابة عن التساؤلات الجوهرية التي طالما أرَّقت النقاد، وباختصار مفيد تحاول نظرية الأدب الإجابة عن التساؤل القديم الـمُتَجَدِّدِ **"ما هو الأدب"؟** هل السر في الأدب يكمن في الأديب أم في الأدب نفسه أم في القارئ باعتباره عنصرا فاعلا في إنتاج الدلالة؟، أم أن جمال الأدب ناتج عن مصدر غيبي متمثلا في عالم المثل الماورائي أو ناتج عن قرين من الجن يتلبس الشاعر ويتكلم بلسانه كما زعم النقاد القدامى؟، وقد تمخض عن هذه التساؤلات تناسل العديد من النظريات المختلفة والمتنوعة نتيجة اختلاف الأسس المعرفية والفلسفية والدينية والحضارية والاقتصادية التي تستند إليها كل نظرية، كما أن للتاريخ أهميته في هذا المجال؛ فنظريات ما قبل الميلاد تختلف عن نظرية القرن الثامن عشر وهذه الأخيرة تختلف عن القرن التاسع عشر وهكذا لأن الظروف (حضارية اقتصادية اجتماعية فلسفية نفسية..) تختلف بين العصور، ولا شك أن اختلاف النظريات راجع

إلى تركيز كل واحدة على جانب معين من جوانب العملية الإبداعية وهو ما يبرزه المخطط التالي:

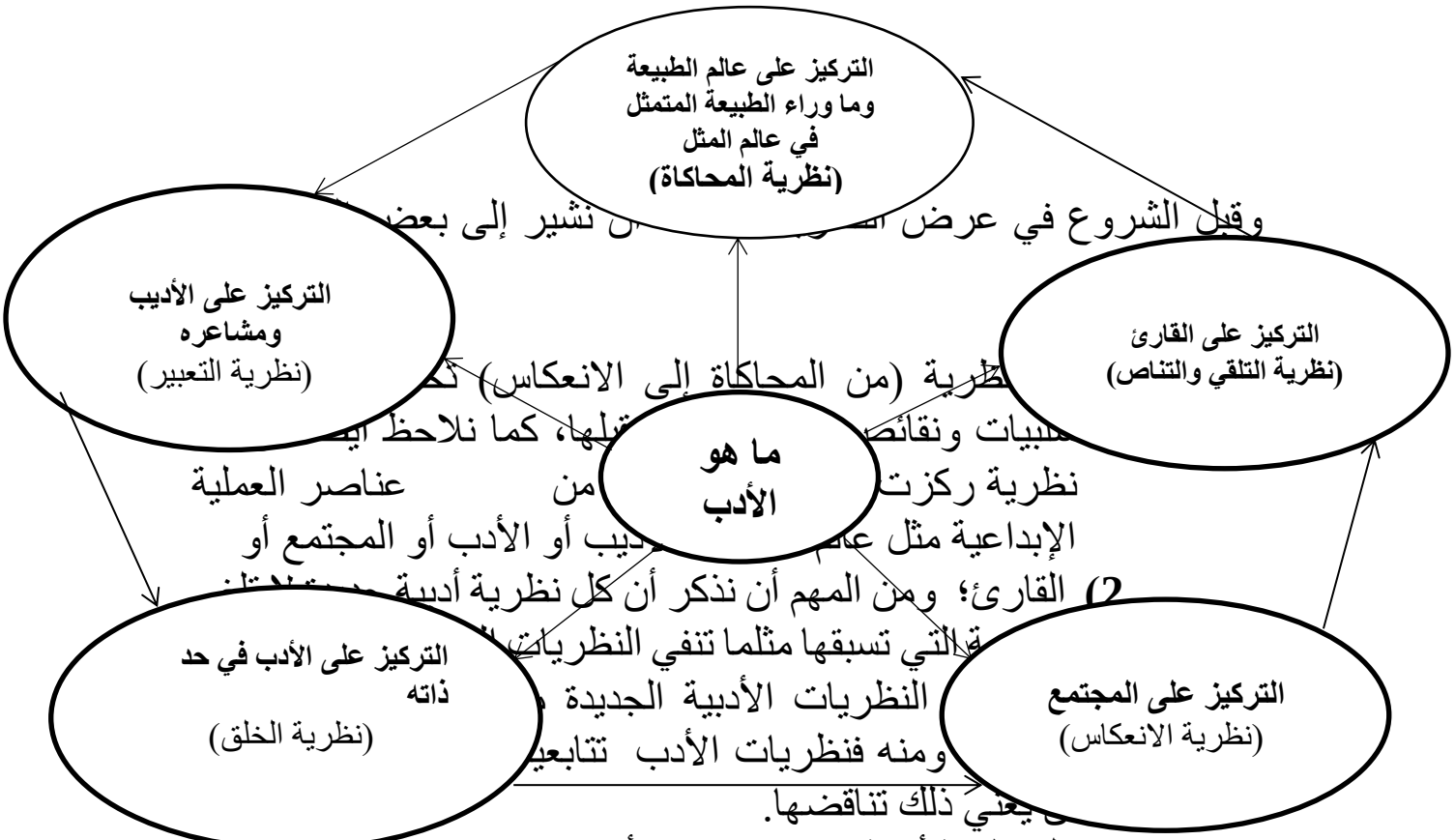

وقبل الشروع في عرض [illegible] نشير إلى بعض

نظرية (من المحاكاة إلى الانعكاس) تكـ
سلبيات ونقائص [illegible]، كما نلاحظ أيضـ
نظرية ركزت [illegible] من عناصر العملية
الإبداعية مثل عالم [illegible] أو الأدب أو المجتمع أو
القارئ؛ ومن المهم أن نذكر أن كل نظرية أدبية [illegible]
[illegible] التي تسبقها مثلما تنفي النظريات [illegible]
النظريات الأدبية الجديدة [illegible]
ومنه فنظريات الأدب تتابعيـ
[illegible] يعني ذلك تناقضها.

3) كل نظرية أدبية يسايرها مذهب أدبي ومنهج نقدي، وهذه الثلاثية مترابطة ولا يمكنها الانفصام ما دام هناك إبداع؛ والراجح أن البداية تعود للأدباء الذي يعتنقون مذهبا أدبيا فيتبعهم المنظرون بآرائهم وتفسيراتهم لتنتهي العملية بالمناهج النقدية التي تكون

آخر العمليات لأنها لا تكتفي بالتنظير المجرد بل تقوم بالتطبيق من خلال التحليل بغية الوصول إلى المعنى.

4) النظريات الأدبية لم تنشأ من فراغ وإنما تسهم في تشكيلها شبكة معقدة من الأنظمة الحضارية والسياسية المرتبطة بتطور الفكر البشري عبر فترات زمنية محددة والجدول التالي يمثل الملاحظتين الأخيرتين؛ أي صيرورة النظريات الأدبية وسياقاتها الحضارية والسياسية والفكرية إضافة إلى خطها الزمني:

الفترة الزمنية	من القرن الرابع قبل الميلاد حتى أواخر القرن الثامن عشر تقريبا	من أواخر القرن الثامن عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر	منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين	من أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين	من ستينيات القرن العشرين إلى اليوم.
الوضع الفلسفي والفكري والحضاري	الاهتمام بالميتافيزيقا	الاهتمام بالفرد والطبيعة	الاهتمام بالمجتمع	الاهتمام بالظواهر والمنتجات الصناعية (انتشار العلم بفضل الثورة الصناعية)	الديمقراطية والليبرالية والتحرر

الواقع السياسي	السلطة المطلقة والنظام الإقطاعي	الثورة البرجوازية ووظهور النظام الرأسمالي والنزعة التحررية	الاشتراكية	الرأسمالية	الديمقراطية
أطراف العملية التواصلية	عالم المثل	المؤلف	المجتمع	النص	المتلقي/ القارئ
المذهب الأدبي	الكلاسيكية	الرومانسية	الواقعية	الرمزية والبرناسية والسوريالية والفن للفن	جميع المذاهب (حرية الكتابة)
النظرية الأدبية	المحاكاة	التعبير	الانعكاس	الخلق	التلقي
المنهج النقدي	المنهج البلاغي المعياري	المنهج التاريخي	المنهج الاجتماعي	المناهج النسقية النصانية كالشكلانية والبنوية والأسلوبية	القراءة والتلقي والتأويل والتفكيك والنقد الثقافي

ملاحظة:

1) إن التواريخ التي وضعناها لبداية النظريات ونهايتها هي تواريخ تقريبية وليست دقيقة؛ لأن النظرية لا تظهر فجأة وإنما تنمو بذرتها شيئا فشيئا إلى أن تكتمل.

2) ليست هناك حدود فاصلة بين ميلاد النظريات واضمحلالها؛ إذ قد تلتقي نظريتان في مرحلة واحدة وهذا ما حدث بين نظرية الخلق ونظرية الانعكاس اللَّتَين سارتا جنبا إلى جنب في النصف الأول من القرن العشرين.

3) قد يتأخر المنهج النقدي عن المذهب الأدبي والنظرية بسنوات وعقود أحيانا، وهذا التأخر يعتبر طبيعيا لأن الاستجابة النقدية للظاهرة الأدبية لا تكون آنية وإنما لا بُدَّ من فترة زمنية يستغرقها النقاد لفهم الأعمال الأدبية وتصنيفها وتفحصها ثم القيام باستنباط المنهج المناسب لتحليلها.